الإرث العربي المسيحي في القدس

د. جمال خضر
عميد كلية الآداب/ جامعة بيت لحم

في خضم الصراع الفلسطيني الاسرائيلي، وفي قلب هذا الصراع، تعاني القدس من عملية تهويد واضحة. وما تتعرض له هذه المدينة يهدد هويتها الخاصة والمميزة. فللقدس هويتها الخاصة. ولكي تصبح القدس ما نصبو له وتحتل مكانتها المميزة، وجب علينا التعرف على هذه الهوية واحترامها.

وهنا لا بد من ملاحظيتين منهجيتن لا بد من ذكرهما: الاولى تتعلق بكون المسيحي الفلسطيني هو فلسطيني في الدرجة الاولى، يرى في القدس مركز هويته و عاصمته السياسية والدينية والثقافيه والاقتصادية... والملاحظة الثانية تتعلق بالجانب بموقف المسيحيين والكنائس المسيحية من مدينة القدس؛ فليس للمسيحي مطالب سيادية على القدس انطلاقا من كونه مسيحيا، بينما تنبع هذه المطالب من الهوية الفلسطينية. المسيحي والكنائس المسيحية تريد ان تحافظ القدس على هويتها الدينية والشمولية، لذلك فلها ولهم كلمة يقولونها في القدس، ومن حقهم ان تسمع هذه الكلمة.

للقدس وقضيتها بعد ديني واضح، هو كالصخرة التي تمكن ان يبنى عليها كل تفاهم وتعايش مستقبلي، واذا تم تجاهل هذا البعد الديني، فستكون القدس كالصخرة التي تحطم وتدوس كل اتفاق او تعايش.

لذلك اذ نتكلم عن القدس في المسيحية فليس لنستأثر بها كمسيحيين، بل لنؤكد على قدسيتها عندنا كما عند غيرنا. كما أن القدس المدينة المقدسة للمسيحية ، ليس تاريخها بمعزل عن تاريخ القدس المدينة المقدسة لليهود وللمسلمين . فهي هي المدينة عينها. والتاريخ المشترك في مراحل كثيرة، بالإضافة إلى أن المدينة العربية والكنعانية واليبوسية واليهودية هي أيضا المدينة عينها[1].

١. أهمية القدس للمسيحيين

قدسية القدس متأتية من كونها مكان الوحي الإلهي على مر العصور حتى قبل المسيحية وهي في المسيحية مكان الفداء والخلاص، ومكان انطلاقة إلى العالم أجمع دون تمييز بين عرق وجنس. وهذا ما أوصى به السيد المسيح قائلاً: « ستكونون لي شهوداً في أورشليم، وفي جميع اليهودية والسامرة ، وإلى أقاصي الأرض». (أعمال الرسل 1:8)، وأيضاً: «أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم بإسم الأب والإبن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (متى 20-19:38) .[2]

أ. يسوع ومدينة القدس:

هذه هي المدينة ، التي كان يسوع يصعد غليها بمناسبة الأعياد، يواجهها، شأن سائر الحجاج، بآيات من المزامير المدعوة «مزاميو الصعود»: « ها قد وقفت أخيرا خطاننا عند أبوابك، يا أروشاليم ! أدعوا لأورشاليم وقولوا: ليسعد من بك يهيم! ليحل السلام بأسوارك، والرخاء داخل قصورك ....»[3].

1– المطران لطفي لحام، القدس في المسيحية، محاضرة في الدورة العاشرة لمؤتمر التراث، 1992؛ في "القدس. دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية"، ص. 48.

2– المطران لطفي لحام، القدس في المسيحية، محاضرة في الدورة العاشرة لمؤتمر التراث، 1992؛ في "القدس. دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية"، ص. 49–50.

3 – المزمور 121

وإذا ما فتحنا الإنجيل المقدس، وقفنا فيه على فقرتين متساويتين، تبيان للحال حب المسيح للمدينة.

ففي الأولى، نسمع المسيح يخاطب اورشليم، في ختام أكثر خطبه شدة قائلا: «أورشليم ! أورشليم! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن اجمع أبناءك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها! فلم تريدوا »[4].

فالقدس مدينة السيد المسيح. إن نظرة سريعة على العهد الجديد، كتاب المسيحيين المقدس، لكافية لتبين لنا مركزية القدس فيه. بينما يرد ذكر مدينة بيت لحم في العهد الجديد مثلا ثماني مرات، والناصرة إثنتي عشرة مرة، يرد ذكر القدس واحدا وتسعين مرة . بهذا تحتل القدس في الإنجيل المرتبة الأولى بلا منازع.

وتستمد القدس أهميتها لنا كمسيحيين من السيد المسيح نفسه، فإليها وجه أنظاره (لوقا 9:51)، وحياته الأرضية لم تكن سوى مسيرة نحو القدس، فكانت محط أنظاره ونهاية دربه، ومكان صعوده (لوقا 13:33).

وقد ارتبطت حياة السيد المسيح بالقدس ارتباطا ليس له من مثيل، فظلت بصماته عالقة على حجارتها وفي كل شبر منها أقيمت معالم تشهد لشخصه وتذيع رسالته. فبوابات القدس تشهد لدخوله إليها دخول الملوك إلى عواصمهم، وبيوتها ما زالت تتحدث عن المائدة التي أعدت فيها ليأكل مع تلاميذه عشاءه الأخير.

وبساتينها وأشجار زيتونها أبصرته على أديمها راكعا مصليا، وأزقتها نظرته يحمل الصليب سائرا على درب الآلام، وتلالها رأته مرفوعا على الصليب معلقا بين الأرض والسماء، وصخورها انتفضت عندما حطم الأغلال وقام منتصرا على قوات الشر والفساد.

فالقدس هي المدينة التي اختارها الله لتكون مسرحا للملحمة الإلهية الكبرى. ولتكون مدينة الفداء والخلاص والتحرر والإنعتاق[5].

ب. مدينة الفداء :

إذا كانت بيت لحم مدينة المولد الساطع فقرا ونورا، في حضن الطبيعة، وإذا كانت الناصرة مدينة الطفولة والشباب والاستعداد الطويل في الصلاة والعمل، وإذا كانت ارض الجليل، بتلاله وبحيرتها وسهولها وجمالها، مقر البشارة الأولى، فأورشليم هي مدينة الفداء وما يستمد منه. إلهيا كان يسوع يصعد في الأعياد ويسمع صوته. وفيها قضى آخر أيامه، وأجرى أعظم آياته؛ السر الفصحي، أي سر الألم والموت والدفن والقيامة والصعود والعنصرة. وهناك أنشأ ما يخلد سره الفصحي عبر الدهر، من قربان وكهنوت، إلى جانب الوحي بأعمق شؤون إيماننا، والادلاء بأهم وصايا شريعتنا: المحبة. لذلك كان لديانة المسيح صلة صميمة بأورشليم هي جزء من تدبير الخلاص، لا يمكن فصله عن الوحي الإلهي» (دانيال روبس)[6].

ج. القدس أم الكنائس:

قبل صعوده الى السماء أوصى يسوع تلاميذه إلا يبرحوا من القدس. بل أن ينتظروا فيها كي يؤيدوا بقوة الروح القدس. خمسين يوما بعد قيامة المسيح، حل الروح القدس على التلاميذ فولدت الكنيسة، ولدت ففي القدس، لذلك دعيت القدس بأم الكنائس.

4– متى 23:37

5– القس متري الراهب، ارتباط المسيحيين بالقدس، دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية"، ص. 80.

6– الاب جورج سابا، القدس في المسيحية، مجلة اللقاء، السنة الخامسة، العدد الثاني، 1990، ص 68.

يوم ميلاد الكنيسة المسيحية هو يوم خاص بالنسبة لنا نحن العرب المسيحيين، إذا نقرأ في العهد الجديد أن عربا كانوا في القدس يوم نشأت الكنيسة وأنهم قبلوا الروح القدس، وبذلك يصبح هذا التاريخ ميلاد كنيسة العرب.

من القدس انطلقت البشارة المسيحية إلى المكونة كلها. وفيها عقد الرسل مجمعهم الأول ليناقشوا التحديات التي تعترض طريق الكنيسة، وبقيت القدس مقر القيادة الكنيسة حتى سنة ست وستين ميلادية، عندما اندلعت الحرب في فلسطين واضطهد المسيحيون واضطروا للجوء إلى شرق الأردن[7].

ولهذا دعيت الكنيسة الأولى في الإنجيل الخامس، كون حجارتها وأسوارها تتحدث عن حياة السيد المسيح، وكون كنائسها تشهد عن أعماله، وأجراسها تذيع حمده. ولهذا راح الرهبان يهرعون إلى فلسطين ليسكنوا القدس وبراريها، يبنون الأديرة، ويقيمون الصلاة. وأصبحت القدس مركزا للإشعاع المسيحي، ففيها طورت الكنيسة طقوس العبادة المسيحية، فبالقرب من القبر المقدس وفي القرن الرابع الف القديس كيرلس المقدسي نظام العبادة والقداس الإلهي.

ولأهميتها رأى المسيحيون في القدس مركز العالم برمته، لذلك رسموا في الخرائط القديمة القدس في الوسط دلالة على مركزيتها، كما يظهر على سبيل المثال لا الحصر في فسيفساء مأدبا في القرن السادس.

ولهذا بنيت بجانب كنيسة القيامة كنيسة أخرى أطلق عليها اسم كنيسة نصف الدنيا دلالة على أن القدس هي قلب العالم النابض. وبقيت القدس في قلوب المسيحيين على مختلف ألوانهم وأجناسهم، وبقي شوق غريب يداعبهم ليحثهم على زيارة القدس والتبرك بمقاماتها[8].

يعتقد المسيحيون في رؤية ايمانهم أن القدس التي تكلم عليها الأنبياء في مكان الخلاص الذي تنبأوا به، والذي تحقق في يسوع المسيح وبواسطته. وفي الأناجيل المقدسة، فإن القدس ترفض المرسل إليها ليخلصها، وهو يبكي عليها لأن مدينة الأنبياء هذه ومدينة أحداث الخلاص الأساسية، أعني موت يسوع وقيامته، قد عميت عن رؤية طريق السلام (لوقا 19:42).

وفي أعمال الرسل فان القدس هي المكان الذي حل فيها الروح القدس، ومكان ميلاد الكنيسة فصل (3)، وجماعة تلاميذ يسوع الذين سيكونون شهودا له ليس فقط فيها بل وفي أرجاء المعمورة (1:8)، وفي القدس أيضا جسدت الجماعة المسيحية الأولى المثال الكنسي الذي ظل مرجعا دائما للجميع .

وأما سفر الرؤيا فإنه ينبىء بأورشليم الجديدة السماوية (راجع 3:12 و 2:12 وقارن مع غلاطية 26:4 وعبرانيين 22:12). وهذه المدينة المقدسة هي صورة للخلق الجديد ولتطلعات الشعوب كلها، حين «يكفكف الله كل دمعة تسيل من عيونهم، ولا يبقى للموت وجود ولا للبكاء ولا للصراخ والألم، لأن العالم القديم قد زال « (4:21).

وأورشليم الأرضية هي في التقليد المسيحي صورة لأورشليم السماوية و «لرؤية السلام». وقد اتخذت الكنيسة لنفسها في الطقوس الدينية إسم اورشليم، وأخذت تعيش جميع لآلام المدينة وأفراحها وآمالها. وقد أصبحت الطقوس الدينية التي تكونت في المدينة المقدسة أساس لجميع الطقوس الدينية في كل مكان وزمان . ولهذا تركت هذه الطقوس أثرا عميقا فيما بعد في الطقوس الدينية المختلفة ، وذلك عن طريق الحجاج الكثيرين، وبسبب الأهمية الرمزية التي كانت تتمتع بها المدينة المقدسة .

وكثر الحج ونما معه شيئا فشيئا الإحساس بضرورة الجمع بين تقديس المكان، عن طريق الإحتفالات

7– القس متري الراهب، ارتباط المسيحيين بالقدس، دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية"، ص. 82.

8– القس متري الراهب، ارتباط المسيحيين بالقدس، دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية"، ص. 83.

في الأماكن المقدسة، وتقديس الزمن، عن طريق التقويم الزمني للإحتفال بالأحداث الخلاصية المقدسة (راجع إيجاريا والقديس كيرلس الأورشليمي). واحتلت القدس بسرعة مكانا فريدا في قلب العالم المسيحي في كل مكان. وظهر لاهوت الحج ومعه روحانية خاصة به. فهو زمن زهد وإحياء للكتاب المقدس عن طريق العودة إلى الينابيع، وزمن اختبار كان المسيحيون يذكرون فيها أنهم غرباء وحجاج على الأرض (عبرانيين11:3) ، وان دعوتهم، أفراد وجماعات، في كل مكان وزمان، تقوم بحمل صليب يسوع والسير خلفه[9].

٢. القدس مدينة مقدسة اليوم

القدس مدينة مقدسة بالنسبة لنا كمسيحيين، لكن قداستها لا تكمن في حجرها بل في بشرها، واليوم ولأول مرة في تاريخ القدس أصبح الوجود الفلسطيني في القدس مهددا بالاضمحلال. نظرة سريعة على بعض الإحصائيات عن القدس:

أ.	القدس القديمة أحياء مسيحية أحياء مسلمة أحياء يهودية مرافق عامة	927 دونم 420 دونم 405 دونم 40 دونم 6,2 دونم
ب.	عدد الأديرة ما يقارب	100 دير وكنيسة
ج.	عدد المدارس	24 مدرسة
د.	عدد المؤسسات لخيرية	47 مؤسسة

فقد بلغ عدد المسيحيين الفلسطينيين في القدس عام 1947 (27,000)، وهذا يعني أن عددهم اليوم كان يجب أن يكون على الأقل الضعف إن أخذنا المعدل الطبيعي للتكاثر في فلسطين، ولكن واحسرتاه إذ لا يعيش في القدس اليوم سوى (9000) مسيحي فلسطيني مما يعني ان 5/6 المسيحيين الفلسطينيين قد هجروا وهاجروا في الأربعين سنة الأخيرة.

اليوم ولأول مرة في تاريخ فلسطين أصبح أبناء فلسطين من مسيحيين ومسلمين غرباء في عقر دارهم، فهم محرومون من رؤية زهرة مدائنهم، ومحرومون من رؤية أمهم القدس، بينما أضحت القدس سجينة لا يستطيع الفلسطيني أن يزورها إلا بتصريح عسكري. يحدث هذا على مرأى ومسامع العالمين المسيحي والإسلامي، فلو منع اليهود من زيارة القدس لأقاموا الدنيا ولم يقعدوها، أما وقد منعنا كفلسطينيين من زيارتها، فما من أحد يحرك لنا ساكنا[10].

ويستمد العدل والسلام من واقع القدس، المادي والروحي، دوافعه وقواعده الثابتة. إن القدس هي مدينة الله التي يستظل تحت جناحيها أبناء الله الكثيرون.وعليه فلا يمكن أن يتم السلام لفئة على حساب فئة أخرى، كما لا يمكن أن ينعم شعب بسلام القدس عندما يحرم غيره من هذه النعمة. إن الإستثنائية والإنفرادية اللتين تحرمان فئة من خلائق الله من نعمة القدس لهما تعد على طبيعة القدس ودعوتها ورسالتها وواقعها التاريخي والديني والسياسي. وهذا يتطلب رؤية سياسية رحبة تترجم هذا

9– مذكرة: "المفهوم المسيحي للقدس"، رؤساء الكنائس المسيحية في القدس، 23 تشرين ثاني 1994، رقم 6–8.
10– القس متري الراهب، ارتباط المسيحيين بالقدس، دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية"، ص. 48–58.

الواقع إلى حقيقة سياسية تستوعب معطيات القدس ومركزيتها لجميع أبنائها وللعالم بأسره. وعلى هذا الأساس تصبح القدس نقطة تنافر، داعية الجميع إلى أن يكونوا قادرين على قبول بعضهم البعض بكل واقعهم الإنساني والسياسي والاجتماعي والديني والثقافي.

٣. مستقبل المدينة

إن حل القضية الفلسطينية ، والصراع العربي الإسرائيلي، يجب أن يبدأ بإيجاد صيغة سياسية أصيلة ومبتكرة لمدينة القدس، صيغة تعكس ما ذكرناه من خواص تنفرد بها هذه المدينة المقدسة[11].

في هذا الصراع تحتل القدس مكانة مركزية من حيث معناها وأهميتها للديانات الموحدة الثلاث، الإسلامية واليهودية والمسيحية . ففي كل حل لا بد من الأخذ بعين الاعتبار في الوقت نفسه التطلعات القومية للشعبية المعنيين الفلسطيني والإسرائيلي، والعلاقة الروحية العميقة التي تشد جميع مؤمني العالم من مسلمين ويهود ومسيحيين إلى المدينة المقدسة والبلاد التي تحوطها[12].

إن إيجاد صيغة تبقي المدينة على وحدتها وفي الوقت عينه تحترم جميع أسمائها ممكن، لا بل ضروري وحيوي وحاسم لمستقبل السلام. إن السلام المنشود للأرض المقدسة الذي يستمد من حل مسألة القدس نموذجا يمكن أن يكون عليه السلام في المنطقة كلها. وان الاخفاق في هذا الحل يعني إبقاء المنطقة على بركان دفين يمكن أن يتفجر في أية لحظة. إن هذه المدينة المقدسة تستحق كل ما يمكن أن يبذل من جهود تجند لها افضل طاقات المخيلة الإنسانية الخلاقة لإيجاد الحل الذي يشعر فيه كل من ينتمي إلى هذه المدينة المقدسة، انتماء قوميا أو روحيا، إنه في بيته، حيث لا ظالم ولا مظلوم، لا غالب ولا مغلوب، لا مستعبد ولا مُستعبد، لا مواطن من الدرجة الأولى وغريب من الدرجة الثانية ، إن مدينة القدس هي ملهمة السلام ومحكه.

إننا نأمل أن يأتي اليوم الذي فيه يتحقق قول الحديث الشريف:" من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقاع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس". وتتم نبوءة اشعيا العائلة : "فيسكن الذئب مع الحمل ، ويربض النمر مع الجدي، ويكون العجل والشبل المعلوف معا وصبي صغير يسوقها" (أشعيا 11:6)، ويتحقق ما اراده السيد المسيح دائما، أي ان يجمع جميع أبناء المدينة المقدسة كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها (متى 38 – 37 :23)[13].

يؤكد رؤساء الكنائس المسيحية في وثيقة نشرت عام 1994 انه "حتى تكون مدينة القدس مدينة السلام، وحتى لا يطمع فيها بعد الآن طامع من الخارج، وحتى لا تبقى سببا للصراع بين أطراف متحاربة، يعلمنا التاريخ أنه لا يمكن لهذه المدينة أن تكون ملكا لشعب أن لدين واحد فقط، بل يجب أن تكون القدس مفتوحة للجميع، وأن يشارك الجميع فيها . من واجب الذين يحكمون هذه المدينة أن يجعلوا منها "عاصمة الإنسانية". وقد تساعد هذه الرؤية الشمولية للقدس هؤلاء الذين يتولون السلطة فيها لكي يفتحوها أمام الآخرين ويقبلوا إشراكهم فيها، لأنهم هم أيضا يحبونها وينظرون بشوق إليها"[14] .

11– راجع الوثيقة الاساسية: "اللاهوت والكنيسة المحلية في الارض المقدسة"، اصدار "مركز اللقاء للدراسات الدينية في الارض المقدس، 1988.

12– البطريرك ميشيل صباح، القدس مدينة السلام، كلمة في افتتاح الدورة العشرة لمؤتمر التراث العربي للمسيحيين والمسلمين في الارض المقدسة، 1992؛ في "القدس. دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية"، ص. 34.

13– راجع الوثيقة الاساسية: "اللاهوت والكنيسة المحلية في الارض المقدسة"، اصدار "مركز اللقاء للدراسات الدينية في الارض المقدس، 1988.

14– مذكرة: "المفهوم المسيحي للقدس"، رؤساء الكنائس المسيحية في القدس، 23 تشرين ثاني 1994، رقم 5.

٤. الحضور المسيحي المستمر:

بالنسبة الى الديانة المسيحية، فإن القدس هي مكان الجذور الحية أبدا والمحببة. فيها ولد كل مسيحي. وكل مسيحي يشعر في القدس أنه "في بيته" .

منذ ما يقارب ألفي سنة، ظلت الكنيسة المحلية مع جميع مؤمنيها حاضرة في القدس حضورا فعالا، عبر الصعوبات العديدة ومع تعاقب الحكومات الكثيرة عليها. وظلت الكنيسة المحلية تشهد، عبر العصور وفي الأماكن نفسها، لحياة السيد المسيح وبشارته وموته وقيامته. وكان المؤمنون يستقبلون إخوانهم وأخواتهم في الإيمان، حجاجا مقيمين أو عابري سبيل، ويدعونهم إلى الانتعاش في هذه الينابيع الكنسية المتجددة الحيوية مدى الأجيال. وهذا الحضور المستمر لجماعة مسيحية حية لا يمكن فصله عن ألمكنة التاريخية، لأنه من خلال "الحجارة الحية" تستمد الأماكن الأثرية المقدسة حياتها[15].

القدس مدينة مقدسة ومدينة كسائر المدن. كمدينة، فيها سكان لهم حاجاتهم ومتطلبات حياة كريمة من تعليم وصحة وعمل وحق اقامة وغيرها من الحقوق الطبيعية لكل سكان المدن. ونعلم جميعا ان هذه الحقوق غير مضمونة لسكان القدس كونها مدينة محتلة وبسبب سياسة التهويد. يجب ان لا ننسى واقع السكان في هذه المدينة وحقهم في اختيار ممثليهم ومن يحمي حقوقهم.

وللقدس في المفهوم المسيحي بعدان أساسيان لا يمكن الفصل بينهما وهما : أولا: القدس مدينة مقدسة، وفيها أماكن مقدسة عزيزة جدا على المسيحيين، بسبب إرتباطها بتاريخ الخلاص الذي تحقق في يسوع المسيح وبواسطته. ثانيا: هي مدينة فيها جماعة من المسيحيين عاشوا فيها بصورة مستمرة منذ نشأتهم.

وهكذا فإن القدس بالنسبة إلى المسيحيين المحليين، كما هو الحال أيضا بالنسبة إلى المسلمين واليهود المحليين، ليست مدينة مقدسة فحسب، بل هي المدينة التي ولدوا فيها وفيها يعيشون. ومن ثم حقهم على متابعة العيش فيها، مع كل الحقوق التي تنجم عن ذلك[16] .

القدس هي في جوهرها مدينة مقدسة، ولهذا يجب ان تتمتع، فوق أي اعتبار، بحرية الوصول على أماكنها المقدسة وبحرية العبادة. ثم إن الحقوق من حيث الملكية والرعاية والعبادة التي اكتسبتها الكنائس المختلفة عبر العصور يجب أن تبقى كما هي بيد الكنائس نفسها. وهذه الحقوق التي يحميها اليوم نظام "الستاتوكو" للأماكن المقدسة وفقا "للفرمانات" التاريخية وغيرها من الوثائق، يجب الاستمرار في الاعتراف بها واحترامها.

إن المسيحيين في العالم كله، سواء من الغرب م من الشرق، يجب أن يكون لهم حق القدوم إلى القدس لأداء الحج. وينبغي أن يجدوا فيها كل ما هو ضروري لأداء الحج وفقا لروح تعاليمهم الدينية الأصلية، فتكون لهم حرية الزيارة والتنقل وأداء الصلاة في الأماكن المقدسة، وتوفير الرعاية الروحية واحترامهم في أثناء أداء شعائر إيمانه، وإمكانية إقامة مطولة، وما يلزم من الخدمات للضيافة والإقامة اللائقة .

يجب أن تتمتع الجماعات المسيحية المحلية بكل الحقوق التي تمكنها من متابعة حضورها الفعال بحرية، ومن الاضطلاع بمسؤولياتها تجاه أعضائها المحليين أنفسهم وتجاه الحجاج المسيحيين من العالم أجمع.

يجب أن يتمتع المسيحييون المحليون، ليس فقط لأنهم مسيحيون، بل مثل جميع المواطنين،

15– مذكرة: "المفهوم المسيحي للقدس"، رؤساء الكنائس المسيحية في القدس، 23 تشرين ثاني 1994، رقم 9.

16– مذكرة: "المفهوم المسيحي للقدس"، رؤساء الكنائس المسيحية في القدس، 23 تشرين ثاني 1994، رقم 10–12.

المتدينين وغيرهم، بكافة الحقوق الأساسية، الاجتماعية والثقافية والسياسية والقومية[17] .

5. وضع خاص لمدينة القدس؟

كل هذا يفترض مقدما وضعا خاصا قانونيا وسياسيا لمدينة القدس يعكس الأهمية العالمية للمدينة ويبين معناها. يؤكد رؤساء الكنائس المسيحية على هذا الوضع الخاص في مذكرتهم عام 1994:

1. من أجل تلبية الطموحات الوطنية لجميع سكانها، ومن أجل أن يشعر كل واحد من اليهود والمسيحيين والمسلمين في القدس أنه في بيته، وحتى يكونوا جميعا في سلام مع بعضهم البعض، لابد من إشراك ممثلين من الديانات الموحدة الثلاث، بالإضافة إلى القوى السياسية المحلية، في تحديد هذا الوضع الخاص وتطبيقه.
2. وبسبب البعد العالمي لمدينة القدس، فلابد من أن يلتزم المجتمع الدولي في تثبيت وديمومة هذا الوضع. إن القدس أعز وأثمن من أن تكون منوطة. بسلطات بلدية أو سياسية أو قومية فقط، أيا كانت. والخبرة تبين أن الضمانات الدولية أمر ضروري.

إن الخبرة تبين أن مثل هذه السلطات المحلية قد تجد نفسها أحيانا مضطرة، لأسباب سياسية أو مقتضيات أمنية. لنقض حق حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة. ولذا فإنه من الضروري أن يكون للقدس وضع خاص، يحول دون جعل القدس ضحية قوانين تفرض عليها بسبب حالات عداء أو حروب. بل تكون مدينة مفتوحة تسمو فوق النزاعات المحلية والإقليمية والسياسية العالمية . ويشترك في تحديد هذا الوضع السلطات الدينية والسياسية المحلية ، ثم يجب أن يدعم بضمانات من قبل الأسرة الدولية[18] .

٦. موقف الكنيسة الكاثوليكية

عبر المطران جان لويس طوران في كلته أمام الامم المتحدة عن موقف الكرسي الرسولي من القدس، وذلك في 1998/10/26

تعتبر الكنيسة الكاثوليكية القدس مدينة محتلة، "فمنذ عام 1967، احتل جزء من المدينة احتلالا عسكريا ثم ضم. وتقع في هذا الجزء المحتل معظم الاماكن المقدسة للديانات الموحدة الثلاث. القدس الشرقية محتلة بطريقة غير شرعية". لذا من الخطأ القول أن الكرسي الرسولي يهتم فقط بالبعد الديني للمدينة أو بأبعادها الأخرى، ويهمل بعد الأرض أو البعد السياسي لها. الكرسي الرسولي مهتم بهذا البعد أيضا، وله الحق وعليه الواجب في ذلك، لاسيما ما دامت القضية من غير حل، وما دامت سبب نزاع وظلم وانتهاك لحقوق الانسان وسبب حد من حرية العبادة والضمير وخوف وقضية أمن للأشخاص. لا شك أن اهتمام الكرسي الرسولي الأول هو الامور الدينية، ويلي ذلك اهتمامه بالابعاد الاخرى، السياسية والاقتصادية، بسبب انعكاساتها الادبية. صحيح ان الكرسي الرسولي لا يتدخل في الخلافات حول الحدود بين الدول ولا يتحيز لطرف دون الآخر ولا يفرض حلولا مفصلة، لكن له الحق وعليه الواجب في تذكير الاطراف المتنازعة بواجب البحث عن الحلول بالطرق السلمية، مع احترام مبادىء العدل والمساواة في إطار القوانين الدولية .

في موضوع القدس، كلا البعدين الديني والسياسي أي بعد الأرض مرتباطان ببعضهما البعض ارتباطا وثيقا، بالرغم من اختلافهما من حيث المضمون الاساسي، ومن حيث طريقة المعالجة والبحث عن الحلول.

17– مذكرة: "المفهوم المسيحي للقدس"، رؤساء الكنائس المسيحية في القدس، 23 تشرين ثاني 1994، رقم 11.

18– مذكرة: "المفهوم المسيحي للقدس"، رؤساء الكنائس المسيحية في القدس، 23 تشرين ثاني 1994، رقم 14.

أ. ماذا يطلب الكرسي الرسولي للقدس؟

يطلب اولا أن تحترم القدس كما هي بخصوصيتها، او كما يجب ان تكون، وليست الآن كذلك إذا نظرنا إلى وضعها الحالي، هذا ما عنيته عندما تكلمت قبل قليل على دعوة المدينة المقدسة وهويتها. القدس كنز للبشرية بأسرها. ومع النظر إلى وضع الصراع القائم والصريح، وإلى ما يحدث فيها من تغيرات سريعة، فأي حل من جانب واحد أو أي حل مفروض بالقوة ليس الحل، ولا يمكن أن يكون هو الحل.

يرى الكرسي الرسولي أن أي استئثار بالمدينة المقدسة – سياسيا كان ام دينيا – يناقض طبيعة المدينة والمنطق الخاص بها. أكرر: كل مواطن يعيش في القدس وكل حاج أو زائر يمر فيها يجب ان يقبل بروح الحوار والتعايش والاحترام الذي تفرضه المدينة . ولا يجوز أن يعتمد الاستئثار بالمدينة على معطيات تاريخية أو على العدد.

إنه لا مستقبل للسلام والتعايش في الأرض المقدسة والشرق الأوسط، إلا إذا وجد حل لقضية القدس السياسية. فالبابا يوحنا بولس الثاني يقول في رسالته "سنة الخلاص" عام 1984: "أنا مقتنع أن الفشل في إيجاد حل مناسب لقضية القدس، وأن تأجيل البحث في القضية، يزيد في صعوبة إيجاد الحل السلمي والعادل للشرق الأوسط بأكمله".

ب. الوضع الخاص:

فيما يختص بالقدس، ما زال الكرسي الرسولي يطلب أن يكون للمدينة وضع خاص يحميها وله ضمانات دولية . ماذا يعني ذلك؟ يرى الكرسي الرسولي أنه:

أ. يجب حماية الميزات التاريخية والمادية، والدينية والحضارية للمدينة. وقد حان الوقت أيضا للكلام على ترميم وحماية ما بقي قائما منها.

ب. يجب أن تتمتع الجماعات الدينية الثلاث الموجودة في المدينة بالمساواة في الحقوق والمعاملة، وذلك ضمن إطار من حرية النشاطات الروحية والحضارية والمدنية والاقتصادية .

ج. يجب المحافظة على الاماكن المقدسة الموجودة في المدينة، وعلى حق حرية الدين والعبادة فيها وحرية الوصول اليها وذلك لسكان المدينة وللحجاج، سواء أتول من الارض المقدسة أو من اماكن أخرى من العالم.

الموضوع والقضية الأساسية هي المحافظة على هوية المدينة المقدسة بكاملها وحمايتها، من جميع جوانبها. فعلى سبيل المثال لا يكفي مبدأ "الاستقلال الذاتي" (extraterritoriality) مع ضمان وصول الحجاج اليها من غير عائق . فهوية المدينة تتضمن طابعا مقدساً لا ينطبق فقط على المواقع بمفردها أو المباني الأثرية، كما لو كان يمكن فصل هذه الأخيرة عن بعضها البعض أو عن الجماعات المؤمنة فيها. قدسية القدس تشمل المدينة بكاملها بأماكنها المقدسة وبجماعاتها المؤمنة ومدارسها ومستشفياتها ونشاطاتها الحضارية والاجتماعية والاقتصادية.

خاتمة:

دعاء للقدس:

ادعوا بالسلام لأورشليم – وقولوا: "ليسعد من بك يهيم". – ليحل السلام بأسوارك – والرخاء داخل قصورك – واني حبا بإخواني وخلاني – سأحييك تحية السلام – وحبا ببيت الرب الهنا – سأدعو لك بالإنعام (مزمور 121)

إنذار لأورشليم: أورشليم أورشليم، – يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها! – كم مرة أردت أن أجمع أبناءك – كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ! فلم تريدوا. هو ذا بيتكم يترك لكم – ها هوذا بيتكم يترك لكم. (لوقا 13، 34-35)